سلسلة المحاضرات واللقاءات العلمية لفضيلة الشيخ

(١)

كيفية البدء في طلب العلم



لفضيلة الشيخ الدكتور

عبد السلام بن محمد الشويعر







كَيفِيَّةُ ٱلبَدْءِ
فِي طَلَبِ العِلْمِ

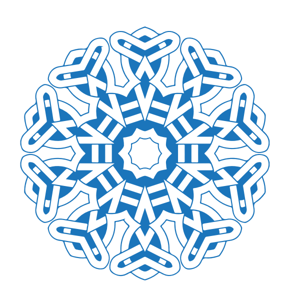
للإعلام بالأخطاء الطِّباعية والاستدراكات والاقتراحات؛ يرجى المراسلة على البريد التالي:
tafreeghalshuwayer@gmail.com

سلسلة المحاضرات واللقاءات العلمية لفضيلة الشيخ

(١)



في طلبِ العلمِ



لفضيلةِ الشّيخِ الدُّكتورِ

عبدِ السّلامِ بنِ محمّدٍ الشّويعر

النسخة الأولى



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله ربِّ العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن مُحمَّدًا عبد الله ورسوله، صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِۦ وَسَلَّمَ تسليمـًا كثيرًا إلى يوم الدِّين.

ثُمَّ أمَّا بعدُ:

فهذا اللِّقاء عَنْوَن له الإخوة الأفاضل بكونه مُحاضرةً في قواعد العلم، والحقيقة أنَّها ليست بمحاضرةٍ؛ وإنَّما هي حديثٌ من الأخِ لأخيه، كما أنَّها لن تكون قواعد؛ وإنَّما تكون - في الحقيقة - هي خَطَراتٌ يستضيء بها المرء في ابتداء طلبه العلم، وليكن حديثنا اليوم عن «**كيفية البدء في طلب العلم**»؛ فإنَّ المرء لربما كان راغبـًا في هذا العلم، عالمـًا بفضله، مُستحضراً للآيات والأحاديث عن النَّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ في مكانة أهل العلم والأجور العظيمة المترتبة عليه، ولكنَّه رُبَّما لم يجد من يأخذ بيده ويدلُّه على الطريق الَّذي يختصر عليه المسافات، ويُوفِّر عليه الوقت؛ فإنَّ كثيرًا من النَّاس يكون راغبـًا بأمرٍ ولكنه لا يُوفَّق للطريق الأقصر إليه، والطريق الأنفع في تحصيله.

ولذلك روى يعقوب بن سفيان في كتاب «المعرفة والتاريخ» عن أيوب السختياني - شيخ الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ - **أنَّه قال:** «إنَّ من نعمة الله جَلَّ وَعَلَا على الحَدَث والأعجمي إذا أسلم أن يُوفَّقا لشيخٍ من أهل السنة»؛ فإنَّ المرء في حداثة سِنِّه وشَرْخِ شبابه إذا توجه للعلم فأنعم الله جَلَّ وَعَلَا عليه بمن يأخذ بيده ويدلُّه على الطريق المفيد في طلب العلم وتحصيله؛ فإنَّه حينئذٍ يكون مُوفَّقـًا.

وقد جاء عند البخاري تعليقـًا: أنَّ ابن عباسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا **قال:** «**الرَّبَّانيون هُمُ الَّذين**

يُعلِّمون النَّاس صِغار العلمِ قبل كباره».

والنَّاظر في سِيَر أهل العلم رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى يجدُ أنَّ أقواماً أعانوهم؛ إمَّا من أشياخهم أو آبائهم، أو نحو ذلك ممن قيَّضهم الله جَلَّ وَعَلَا وسخَّرهم للإعانة لهم في تحصيل العلم.

والأخبار في ذلك كثيرةٌ، وليس المقام مقام قصصٍ ولا مقام ذَكْرٍ لهذه الأخبار، ولكنِّي سأذكر قصةً واحدة منها لأبي الوقت السِّجْزي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وأبو الوقت السِّجزي هذا ممن شُهِر عنهم روايةُ صحيح البخاري، **بل قيل**: إنَّ روايات البخاري تتصل بأبي الوقت رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

أبو الوقت بُورك له في روايته للبخاري، وقد قيل في سبب روايته: أنَّه خرج من سجستان ليروي البخاري عن الفربري الَّذي يروي عن أصحاب مُحمَّد بن إسماعيل البخاري، فلما خرج قال له أبوه: لابُدَّ أن تتعب وأن تتحصل على النَّصَب لأجل أن تتحصل على العلم فيبارَك لك فيه، فخرجا يمشيان ولم يركبا، فلمَّا تعب ابنه - وهو أبو الوقت - أمره أبوه أن يحمل حجرين، فلمَّا حمل الحجرين ومشى بهما قليلاً أو كثيرًا تعب أكثر من ذلك، فأمره أبوه أن يرمي أحد الحجرين، فلمَّا رمى السجزي أحد الحجرين رأى في نفسه نشاطًا وقوَّةً فمشى، فلمَّا تعب بعد ذلك أمره أبوه أن يرمي الثاني، فوجد في نفسه نشاطًا فمشى، فلمَّا تعب بعد ذلك حمله أبوه على ظهره، إلى أن وصلوا إلى بغداد، ثُمَّ روى البخاري، وبارك الله عَزَّوَجَلَّ في هذه الرواية، فأصبحت رواية أبي الوقت السجزي من الرِّوايات الَّتي يتصل بها أغلب الأسانيد إلى البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

فالمقصود: أني أردت أن أضرب مثالاً بهذه القصة لمسألة أن المرء يسترشد بغيره ممن

يسترشده برأي، أو يدلُّه على طريقٍ، أو ييسر له أمر رزقٍ فيكفيه أمر المؤنة، أو يكفيه بوسيلةٍ أو بأخرى أو بإحضار كتابٍ ونحو ذلك.

واليوم - بإذن الله عَزَّوَجَلَّ - لربما تكلمت عن خطراتٍ وليست قواعد، إذْ القواعدُ يُبنى عليها غيرها، **فإنَّ القاعدة:** هي الَّتي يُبنى عليها غيرها، أو هي الوصف الكلي الَّذي تبنى عليه الأحكام الجزئية. فليست هي كذلك؛ وإنَّما هي خَطَراتٌ تعرض للمرء فيحسن به أن ينبِّه غيره من إخوانه وأبنائه وممن شاركه في أمرٍ قد ابتدأه قبل ذلك؛ فإنَّ هذا يختصر عليك كثيرًا، **وقد قيل:** أعقل الناس من أضاف عقول الناس إلى عقله بالمشورة. وما خاب من استشار.

۞ **أول أمرٍ إذا أردت أن تطلب العلم، أول شيء يجب أن تنتبه له:** هو أنَّه يجب عليك أن تبادر، فإن آفة العلم - في الحقيقة - **هي التَّسويف**، ما أصاب طلبة العلم آحاد أو على سبيل الإجمال آفةٌ كآفة التَّسويف، إذا أراد أن يحفظ شيئًا قال: اليوم أنا مشغول، لنجعله في الغد، فإذا جاء الغد أرجأه إلى الأسبوع القابل ثم الشهر القابل ثم السنة التي بعدها فإذا بالمرء قد شُغِل بأهله وولده وعمله ووظيفته وغير ذلك من مشاغل الدنيا، العلم لابُدَّ أن تتعلم وتباشر في التَّعليم ولا تؤجِّله ولا تسوِّفه، ولا تتآنى فيه ولا تتأخر، لابُدَّ أن تبادر بالعلم، لأن هذا العلم الذي تُحصِّله اليوم لن تحصله غداً، ثِق، هذه معلومة، لربما كان نفس الكتاب معك الآن لكن تقرؤه اليوم وتقرؤه غداً؛ كان تحصيلك له اليوم يختلف عن تحصيلك له في الغد.

إذن: يجب عليك المبادرة. وأعظم آفة تقع لطلاب العلم أو لعموم من رغب في العلم

ابتداءً إنَّما هي بسبب التَّسويف، **إذن**: انتبه لمسألة التسويف وبادر في تحصيل العلم.

۞ **الأمر الثاني**: أريدك أن تعلم أن من أهم ما يبتدئ به طالب العلم هو أن يسأل الله عَزَّوَجَلَّ التوفيق، دائمًا اجعل ديدنك ودأبك الدائم سؤال الله عَزَّوَجَلَّ أن يرزقك العلم النَّافع، إذا كان أشرف الخلق وسيدهم مُحمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول في صلاته في الليل وهو يأتيه الوحي صبحًا وعشيًا: «**اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**».

ففي مسلمٍ أنَّ النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا أراد أن يفتتح قيامه لصلاة الليل قال: «**اللَّهُمَ رَبَّ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ...**» إلى آخر الحديث الَّذي أوردت لكم قبل قليل.

فكان النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو الله ويسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يهديه لما اختُلِف فيه من الحق بإذنه، ولا شكَّ أنَّ الهداية إمَّا أن تكون في التحصيل، أو ما بعد التحصيل في الاختيار، وكل هذه الأمور يدخل فيه هذا الدعاء.

إِذَنْ: من أعظم الأمور الَّتي تسأل الله عَزَّوَجَلَّ **إياها**: أن يرزقك الإعانة على العبادة، ومن أجلِّ العبادات وأفضلها بعد أداء الفرائض: **عبادة العلم**. وهذا لا شكَّ فيه، لا شكَّ أنَّ أفضل عبادة بعد أداء الفرائض وتوحيد الله جَلَّ وَعَلَا أن يتقرَّب العبد إلى ربه جَلَّ وَعَلَا بالعلم.

إِذَنْ: أكثِر من سؤال الله عَزَّوَجَلَّ أن يرزقك العلم النَّافع، وقد كان النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستعيذ بالله من علمٍ لا ينفع، **مفهومه**: أنَّه يسأل الله عَزَّوَجَلَّ العلم النافع، فاسأل الله عَزَّوَجَلَّ العلم النافع الَّذي ينفعك في دينك، وينفعك في رفع الجهل نفسك، وينفعك في رِفعة درجاتك يوم القيامة عنده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

إِذَنْ: أكثِر وأدِم الإلحاح والسؤال والطلب للكريم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يرزقك العلم النافع، وأن يُسهِّل لك، وأن يُسبِّب لك الأسباب المعينة على تحصيله. وكم أعلم وتعلمون كذلك أنَّ أُناسًا يفتح الله عَزَّوَجَلَّ عليهم في العلم ويفتح عليهم في أسباب العلم ذلك بِلُقْيَا المشايخ، وتحصيل أسبابه المتعددة المتنوعة ما لا يُفتح على غيرهم، وما ذاك إلَّا بأمرٍ أراده الله عَزَّوَجَلَّ.

ولذلك جاء في حديثٍ أو في بعض ألفاظ حديث: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**» أنَّ النَّبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَشْرَحْ صَدْرَهُ يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**»، فهي شرح الصدر، أن الله يشرح صدرك لتُقبل على العلم، فنِعمةٌ أن الله عَزَّوَجَلَّ يشرح صدرك للعلم، ومن نِعَم الله جَلَّوَعَلَا أن يجعل قلبك مُقبلاً على العلم، وأن يحبِّب إليك العلم، وأن يجعل العلم سهلاً مُحببًا يسيراً عندك، وأن يقيِّض الله عَزَّوَجَلَّ لك الأسباب المعينة عليه، ثُمَّ يرزقك الله عَزَّوَجَلَّ هذا العلم الَّذي تُوفَّق إليه.

إِذَنْ: اجعل دعاء الله عَزَّوَجَلَّ بالعلم مُلازمًا للسانك وفي مواطن الإجابة الَّتي تظن أن قلبك أقبل على الله عَزَّوَجَلَّ، وأنَّك قد اضطررت إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ليرزقك الله عَزَّوَجَلَّ العلم النافع.

إِذَنْ: هذه المسألة الثَّانية.

۞ **الأمر الثَّالث الَّذي أريد أن تحرص عليه**: احرص دائمًا على مسألة النية، وقد جاء من حديث عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّ النَّبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**»، ومسألة النية قد تكون لبعض النَّاس مُنفِّرةً، وقد تكون لبعض النَّاس مُحفِّزةً.

فأمّا كونها مُنفِّرةً؛ فإنَّما تكون للجاهل الَّذي يظن أنَّ نيته مَدْخُولةٌ، وأنَّ دَخْل نيته ونقص نيته يكون سبباً في عدم تحصيله العلم فيترك العلم ظناً منه أنَّه بذلك قد أتى بالإخلاص، وهذا في الحقيقة إنَّما هو جاهلٌ، **بل قال بعض أهل العلم:** «إنَّ فِعْل العبادة لأجل النَّاس رياءٌ، وترْكها لأجلهم نقصٌ في العقل وشركٌ معاً».

إِذَنْ: هذه أخطر جدًّا، ولذلك يجب على الإنسان أن يعرف ما هي النية في العلم؟

النية في العلم لمَّا سأل - أظن الميموني أو المرُّوذي - أحدهما الإمام أحمد قال: ما النية في العلم؟ ما معنى أن أكون نويت العلم النية العظيمة والأجر التام. **قال:** النية في العلم أن تنوي نفي الجهل عن نفسك، وأن تعلِّم الناس. فقط.

إِذَنْ: النية الصالحة هو أن تقول: أُريد أن أعبد الله على بصيرةٍ، أُريد أن أعلِّم النَّاس الحق، لربما لم تحتج هذه المسألة في عُقودٍ أو لم تحتج هذه المسألة في أنكحةٍ وطلاقٍ وفُرْقة وظهارٍ ونحو ذلك، ولكن لربما سألك رجلٌ فتجد أثَر إجابة هذا السؤال عليه عظيماً، بل لربما انتفع بالعلم الَّذي علَّمته إياه.

إِذَنْ: النية الصالحة أمران -كما قال الإمام أحمد-: هو أن تنوي نفي الجهل عن نفسك فتؤدي العبادة كما أمر الله عَزَّوَجَلَّ وشرع قدر المستطاع، لأنَّك تجتهد، ربما إمَّا باجتهادٍ صحيح أو تقليدٍ سائغ، أو أنَّك قد تُصيب وقد تُخطئ في الاختيار، لكن عُموماً أنا قصدي من ذلك أنَّك تسعى لنفي الجهل عن نفسك ولتعلِّم الآخرين.

۞ **هنا مسألةٌ تتعلق في النية مُهمَّةٌ جدًّا:** وهو أنَّ كثيراً من الناس قد يبدأ العلم ولا أقول عنده نية رياءٍ وتسميع، وإنَّما عنده نية تشريك، هناك فرقٌ بين التشريك والشرك، ومن

الشرك: الرياء والسمعة، من أدى عبادة من العبادات وقد راءى بها أحدًا أو أراد أن يُسَمِّع به فلا شكَّ أنَّه لا يُؤجر عليها شيئًا البتة؛ لأنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وقال: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥]، فبيَّن الله جَلَّوَعَلَا أنَّ الشرك مُحبطٌ للعمل، وقد سمَّى النَّبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ -كما تعلمون في حديث محمود بن لبيد- الرياء شركًا أصغر، فهو شركٌ مُحبطٌ العمل، فمن صلى مرائيًا أو مسمِّعًا فلا أجر له البتة، هذا الرياء.

هناك أمرٌ آخر يُسمى: التَّشريك في النية.

التشريك في النية: هو أن تأتيَ بالعبادة لله جَلَّوَعَلَا ولشيءٍ آخر، يعني: في الصحيح من حديث عبد الله بن عمرو أنَّ النَّبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**مَا مِنْ غَازِيَةٍ يَغْزُونَ فَيَغْنَمُونَ إِلَّا تَعَجَّلُوا ثُلُثَيْ أَجْرِهِمْ**»، فمن أدَّى عبادة لله جَلَّوَعَلَا وقد أراد شيئًا من حظ الدنيا فإنَّه ينقص أجره ولا يبطل، وكذلك العلم، ولذلك **قال بعض أهل العلم**: «إنَّ العلم أغلب من يبتدئ في طلبه هم الَّذين أرادوا أن يرتفعوا به»، أغلب النَّاس -الأغلب، لِنَقُل أكثر من النصف تقريبًا- الذين يبتدئون بطلب العلم يريدون **أن يرتفعوا به**:

- إمَّا إن كان فقيراً فيريد أن يغتني.

- إمَّا أن يكون يريد بهذا العلم شرفًا ووظيفة، شرفًا: **يعني** مكانة في المجتمع ووظيفة فيريد أن يرتقي به.

- إمَّا أن يكون وضيعًا في قومه فيريد أن يتعلَّم فيرتفع بهم، وقد رفع الله أهل العلم.

لا بُدَّ أن يكون للنفس حظٌّ في ذلك، لا بُدَّ أن يكون للنفس حظٌّ في طلب العلم، ولكنَّ

المؤمن دائمـًا نفسه لوَّامة، هذه صفة المؤمن دائمـًا نفسه تلومه، ومن تلومه نفسه يُحاسب نفسه ويُكثر من سؤال الله عَزَّوَجَلَّ الإخلاص، فلا ينقطع عن العمل وإنَّما يلوم نفسه ويجتهد في نفي هذا التَّشريك عن قلبه، وهذا أسباب نقص الأجر المتمِّم له.

بعض النَّاس قد يطلب العلم ويريد به وظيفةً، أو هو يأخذ منه وظيفةً أو جُعْلاً.. وهكذا، فهذا لا شكَّ أنَّه يُنقِص الأجر ولكنه يجاهد الله عَزَّوَجَلَّ **بأمورٍ**:

- **منها**: أن يجاهد قلبه بمراجعته.

- **ومنها**: أن يحرص على أن يبذل أضعاف أو على الأقل مثل ما أخذ عليه أجرًا في السر.

يحرص دائمـًا الشخص على أن يُعنى بعبادات السر، إنْ رآك الناس تصلي أمام الناس لا تقطع الصلاة، صلِّ أمامهم وزِد في الصلاة، لكن ارجع إلى بيتك و صلِّ أيضـًا، تصدقت أمام النَّاس وجدت أنَّك تنوي الصدقة بخمسين، فلما حضر زيدٌ وعمرو أخرجت مائة فتصدق بمائة ثُمَّ ارجع إلى بيتك وتصدق بمائة أخرى أو بخمسين أخرى.

إِذَنْ: احرص دائمـًا على عبادات السر ومنها العلم. وستتكلم -إن شاء الله- عن أمرٍ مُهِمٍّ في العلم للمباركة فيه والنماء وهو: أنْ تُعلِّم العلم في السر، دائمـًا احرص على أن تبذل علمـًا في السر، وسنتكلم عنه - إن شاء الله - في محله.

إِذَنْ: أنا وقفت مع النية قليلاً لأن الإخوان **نوعان**:

- بعضهم يهمل هذا الباب بِكُلِّيَّته ولا يُعنى بمراجعة نيته، وهذا أمرٌ لا يناسب طالب العلم الربَّاني.

- **والأمر الثاني**: أن بعض الناس قد يصدُّه العناية بتحصيل النية وتحقيق الإخلاص عن تحصيل العلم، وهذا من نقص علمه كذلك، وإنَّما المؤمن يعرف النية وأنها المراد بها: هي نفي الجهل عن النفس والتعليم.

۞ **والأمر الثاني**: أنه دائمـًا يلوم نفسه ويسأل الله عَزَّوَجَلَّ الإخلاص، وفي الحديث أنَّ النَّبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال للصحابة لمَّا سألوه عمَّا ينفي الرياء قال: «**قُلْ: اللَّهُمَ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمْ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا أَعْلَمْ**»، فأكثِر من هذا الدعاء.

وإذا أردت أن تقوم مُتكلِّمـًا أو واعظـًا أو مُحدِّثـًا فقبل أن تبدأ اجعل في سجودك: اللَّهم ارزقني الإخلاص. دائمـًا اجعل طلب الإخلاص على لسانك، واجعل مُراقبة الله عَزَّوَجَلَّ أمامـًا بين عينيك.

۞ **الأمر الرابع الَّذي أريد أن تنتبه له: أن من الأمور المهمة في العلم**: أنه لا بد من الاستمرار عليه، لا يُوجد علمٌ يُؤخَذ بسرعةٍ، ولذلك يقول الإمام محمد بن شهاب الزهري - عليه رحمة الله -: «العلم إن أعطيته كُلَّك أعطاك بعضه، وإن أخذته جُملةً ذهب منك جُملةً»، العلم لا يُنال بسنة ولا سنتين، ولا ثلاث ولا أربع، بل يحتاج إلى أمَدٍ طويلٍ وجادَّة مُستمرةٍ.

إِذَنْ: وطِّن نفسك أن العلم طويل، وهذا إذا أردت أن تكون طالب علم، وأما أن تأخذ الحد الأدنى من العلم فهذه مسألة أخرى.

إِذَنْ: لابد أن يكون العلم أمَدُه طويلٌ، وأن تتعِب نفسك، وأن تُجهدها، ولذلك بعض الناس يملُّون في العلم مللاً كثيرًا، كثيرٌ من النَّاس يبدأ سنة وسنتين وثلاث وأربع ثُمَّ بعد

ذلك يجد أن هذه الجادَّة والطريق طويلة، فحينئذٍ يكون التساقط، ولربما رُزِق ذكاءً ونباهةً ولكنه لم يُرزق الصبر، ولذلك **يقول بعض أهل العلم**:

أَخِي لَنْ تَنَالَ الْعِلْمَ إِلَّا بِسِتَّةٍ ... سَأُنْبِيكَ عَنْ تَفْصِيلِهَا بِبَيَانِ

ذَكَاءٌ وَحِرْصٌ وَاصْطِبَارٌ وَبُلْغَةٌ ... وَصُحْبَةُ أُسْتَاذٍ وَطُولِ زَمَانِ

لابُدَّ من الاصطبار، ولابُدَّ من طول الزمان، والتَّدرب هذا له أمر في النفوس عجيبٌ جدًّا، ذكر أبو هلال العسكري - وهو أحد علماء اللغة والحديث - **قال**: أول ما بدأت في حفظ الشعر كنت أستصعبه، فقال لي أبي وعمي: احفظ كل يومٍ عدداً معيناً من الأبيات، **قال**: فكنت أبتدئ الحفظ بعشرة أبيات أو نحوها. يقول: فما زلت بنفسي أروِّضها حتى أصبحت أحفظ القصيدة والقصيدتين والثلاث في يومٍ واحد.

كذلك فيما يتعلق بحفظ كتاب الله، فيما يتعلق بفهم سنة النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفهم المعاني الشرعية كلها من هذا المعنى، أول ما تبدأ قد تجلس في السطر الواحد أمدًا طويلاً، ولذلك من نُكَت أهل العلم **أنهم يقولون**: يجب أن يُصعَّب العلم. كذا يقولون، يجب أن يُصعَّب العلم، ولذلك تجد في كتب الفقه يصعِّبون العلم **من جهتين**:

۞ **الجهة الأولى**: من حيث الصياغة، فتجد أنَّ المختصرات الفقهية يصعِّبونها، **يقولون**: لكي إذا ابتدأ طالب العلم يبدأ بمختصر، فأول ما يبدأ يكون مُتحمساً، فإذا أول كتاب يأتيه بهذه العبارات المحبوكة الدقيقة الَّتي يحتاج حلُّ ألفاظها وفهم معانيها إلى رُبَّما دقائق أو ساعات، ساعات للمبتدئ؛ فَّإنه حينئذٍ سيستمر إن أنجز الكتاب له سيستمر، لأنَّهم تعمدوا، -نص على ذلك مجموعة من العلماء-، **قالوا**: إنه يُقصد تصعيب الألفاظ لأغراض، من هذه الأغراض: أن المرء يتعب في تحصيل العلم لكي يجد هذه المعلومة،

وثِق أن المرء إذا تعب في الشيء وجد له طعماً ولذة، ووجد له نفعاً فبقي في نفسه أكثر من بقاء الَّذي يأتيه بسهولة.

الجرائد كل يوم تقرؤها بلغة صُحفية سهلة جدًّا، هذه تنساها ثاني يوم، لكن انظر ذلك المتن الَّذي ما فهمت حتى شاورت خمسة وحتى قرأت عشرة كتب، تجد أنَّ هذه المعلومة بقيت في ذهنك.

إِذَنْ: طريقتهم الأولى أنَّهم يصعبِّون عباراته.

۞ **ثانيـًا:** أنهم يصعِّبون - عند بعضهم طبعـًا - أول بابٍ في الكتاب، أول باب يُبدأ به الكتاب يصعِّبونه، وهذه طريقة أبي حامد في الأصول وتبعه أبو محمد الموفق في الروضة، فإنَّه ابتدأ كتاب الأصول بمقدمة منطقية، **قال:** يبتدئ المرء بالصعب لكي يعلم.. يشد ذهنه إلى أقصى شيء ثم بعد ذلك يبدأ له العلم متيسراً بعده.

إِذَنْ: أنا قصدي أريدك أن تعلم أن العلم يحتاج إلى صبر ومصابرة ومُجاهدةٍ، ولربما جلس المرء في ابتداء طلب العلم في الصفحة الواحدة ساعات، فإذا فتح الله جَلَّ وَعَلَا عليه فإنَّه سيمكث في المجلدات ساعة، الله عَزَّوَجَلَّ هو الَّذي يفتح عليك، بعض الإخوان **يقول:** إني لأقرأ كلام فلان وفلان من الفقهاء وأتلذذ به كما لو كنت أقرأ للجاحظ. من شدة سهولة كلام الفقهاء على لسانه أو كلام المعنيين بالأصول على لسانه، فيتلذذ به كما لو يقرأ كتاب أدب، وهذا من تيسير الله عَزَّوَجَلَّ وفتحه لبعض النَّاس.

فالله عَزَّوَجَلَّ كما قال سبحانه: ﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ فِي ٱلرِّزۡقِۚ ﴾ [النحل: ٧١]، فالله يفضِّلهم في الرزق وفي الفهم والتيسير.

إِذَنْ: هذه الخاطرة أو القاعدة الَّتي بعده وهي قضــية: لابُدَّ من الاســتمرار. والحديث عن الاستمرار في العلم حديث طويل جدًّا، لكن نكتفي بهذه المسائل فإنها أهمها.

❁ **المسـألة الَّتي بعدها من الأشـياء المهمة في العلم**: أنَّه لابد في العلم أن تعرف جميع العلوم الشـرعية؛ لأنَّ العلوم الشـرعية مُترابطةٌ، فلا غنى للفقيه عن معرفة كلام الله جَلَّ وَعَلَا، ومعرفة سنة النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومعرفة صحيح الحديث من ضعيفه وهو علم مصطلح الحديث، ولا غنى له عن معرفة بعض علوم الآلة؛ كعلم الأصـول، وعلم النَّحو، والبلاغة، ونحو ذلك من الأمور، وهي كثيرةٌ جدًّا مسائل العلوم الشرعية.

إِذَنْ: لابُدَّ أن المرء في ابتداء علمه أن يمر على العلوم الشرعية جميعـًا، حتَّى قال بعض أهل العلم ممن تقدم: إنَّ ممَّا يحسن بطالب العلم أن يعرف من كل شيءٍ شيء، ومن شيءٍ كل شيء.

وقد قال أبو عبيد القاسـم بن سـلام: «ما ناظرت صـاحب فنونٍ إلا غلبته، ولا صـاحب فنٍّ إلا غلبني».

فالمقصـود من هذا الكلام: أنَّ الإنسـان يجب أن ينظر في العلوم الشـرعية جميعـًا، ولا يقتصـر نظره في ابتداء طلبه العلم على أحدها، نَعَم؛ لربما بعد ذلك تخصـص بعد أن يُحيط بجزء من جميع هذه العلوم فإنَّه يتخصـص لربما بعد ذلك، لكن في ابتداء طلب العلم لابد أن تُعنى بهذا الأمر، وخاصةً أن المرء في حداثة سنِّه يسهل عليه تحصيل العلوم وفهمها أكثر ممن يكون أكبر سِنًّا؛ فإنَّ من كان أكبر سِنًّا وقد أصبح شيخـًا في السن وقد شاخ فإنَّه يُصبح أدق تفكيراً لكن يصعب عليه ابتداء التعلم في بعض العلوم.

إِذَنْ: هذه المسألة الَّتي أريد أن تنتبه لها وهو لابد أن تنوِّع العلوم عندك.

واعلم أن العلوم نوعان:

- علوم مقاصد.
- وعلوم وسائل.

فاحرص على علوم المقاصد؛ فإنَّها الأصل، ولا تحرم نفسك من علوم الوسائل، فمن حُرِم علوم الوسائل فإنَّه لابُدَّ أن يخطئ في مسألة أو في غيرها، فإنها المتممة والمكمِّلة لعلوم المقاصد.

علوم الو سائل مثل اللسان؛ فإنَّ لسان العرب لابُدَّ من معرفته؛ بمعرفة النحو والبلاغة والصرف والغريب ونحو ذلك من الأمور المهمة؛ فإنَّه لابد من العناية بها، ولذلك **فإن الفقهاء يقولون**: من شرط المجتهد والقاضي أن يكون عالماً بالعربية مع أنها من علوم الوسائل وليست من علوم المقاصد، وهكذا.

من المسائل المهمة الَّتي أريد أن تنتبه لها: يجب أن تعلم أنَّ العلوم الشرعية بالخصوص من خصائصها: أنَّها إنَّما تُؤخذ عن الأشياخ، ولذلك **يقول عبد الله بن المبارك** -كما في مقدمة صحيح مسلم-: «الإسناد من الدين، فإنْ قيل عمَّن بقي»، هذا الشرع إنَّما يُنقل عن الأكابر، **وقد قال ابن مسعودٍ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وروي مرفوعاً: «لا تزال هذه الأمة بخيرٍ ما أخذوا العلم عن الأكابر».

علم الشريعة لا يؤخذ من صحف، ولا يُنقل من كتب؛ وإنَّما يُؤخذ من الصدور، ولذلك جاء في التوراة خبر أصحاب مُحمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمؤمنين أن أناجيلهم في

صدورهم. يحفظون العلم.

وَلَيْسَ عِلْمـاً مَا حَوَى الْقِمَطْرُ ‏ ‏ ‏ ‏ وَإِنَّمَا الْعِلْمُ مَا وَعَاهُ الصَّــدْرُ

يقول النَّخعي أو غيره: «العلم ما دخل معك الحمام». وأمَّا الَّذي يجلس في المكتبة هذا ليس علماً، هذه مكتبة باقية لها مكانتها، لكن الَّذي يدخل معك في الحمام هذا هو العلم.

إِذَنْ: أُريدك أن تعلم هذه المسألة وهو قضية أنَّه لابُدَّ من العناية بالأخذ من الأشياخ، بخلاف آخر الزمان؛ فإنَّ آخر الزمان أشار بعض أهل العلم وأظنه الشوكاني ذكر أنَّ في حديث النَّبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتخذ النَّاس رُؤوساً جُهالاً، وذلك حينما لا يكون العلم مُتَّصلاً؛ وإنَّما يأخذونه من الورق؛ فإنَّه في آخر الزمان يفشو الكتابة ويفشو القلم ولكن يكون للنَّاس رُؤوس ولكن هذه الرؤوس جهال، **قال**: وهذا يدل على أنَّهم لم يأخذوه عن الأشياخ.

إِذَنْ: لابُدَّ من الأخذ عن الأشياخ، والحديث في الأخذ عن الأشياخ طويل، ولكن نكتفي بهذه الإشارة.

۞ **المسألة الَّتي بعدها**: انظر، **العلم لابُدَّ أن يتحصل بوسائل**:

۞ إمَّا بدرسٍ.

۞ أو مدارسة.

۞ أو مذاكرةٍ.

۞ أو تعليمٍ.

۞ أو قراءةٍ.

هذه خمسة أمور يجب أن تكون جميعًا عندك.

۞ **بدرسٍ**: أن تقرأ على شيخ، ولا يلزم أن يكون الشيخ أسنَّ منك، فقد يكون الشيخ ربما مُساويًا في العمر؛ فإنَّ بعض النَّاس يوفِّق الله عَزَّوَجَلَّ له ما لا يوفق لغيره، فهذه ليس لازمًا، ولذلك يُرى عند بعض مشايخنا من هو أسن منه في الثمانين ويحضر، فليس غالبًا السن لكنه العبرة في العلم بثناء النَّاس.

كذلك الشيخ لابد أن تنتبه أنه ليس لازمًا أن يكون أعلم النَّاس، فلربما تخرَّج المرء بمن هو دون ذلك، ولكنَّ الشيخ هذا يدلُّك لمفاتيح العلوم وطرائقها، وهناك أربع طرق أخرى سأشير لها بعد قليل.

۞ **الأمر الثاني: المدارسة.**

العلم لكي يثبت في الذهن لابد فيه من مدارسة، فإذا ابتدأت في تحصيل المسألة فدارِس الناس، قد تكون من تدارسه شيخًا من شيوخك، وقد يكون قرينًا من أسنانك، فتدارسه، فتذكر ما تعلمته، وتسمع منه في ذلك الشيء الكثير.

إِذَنْ: هذه تُسمَّى المدارسة، فتعطيه ما عندك ويعطيك ما عنده، ولكن انتبه! إياك في المدارسة من المماراة؛ فإنَّه لا يُبارك في العلم لمن كان مُماريًا فيه، كثيرٌ من النَّاس للأسف يظن أن المدارسة هي أني أتكلم أنا وإياك وأن أغلبك، فإذا ذكرت مسألة أو رأيًا أحاججك محاججة الأعداء والخصوم ولابُدَّ أن أنتصر لرأيي. وهذا ليس كذلك، أنت عندما تُدارس أخاك فإنَّما تسمع منه أمراً لربما كنت غافلاً عنه، فأنت تقصد منه أمراً لربما كنت غافلاً عنه،

فأنت تقصد من المذاكرة نفع نفسك، هذا ليس من باب المغالبة؛ وإنما المدارسة تريد أن تنتفع لنفسك، أنت عندما تتكلم بالمسألة يظهر الله جَلَّ وَعَلَا على لسانك شيئًا لم يكن موجودًا في ذهنك.

أذكر أحد المشايخ **الشيخ محمد بن عثيمين يقول** في بيت الوالد: أنا في كثير من الأحيان أقول الكلام في الدرس، قبل الدرس وبعده لا أستطيع أن أقول هذه الفكرة، تظهر علي في أثناء الدرس، ولذلك **يقول**: كثرة الكلام بالعلم في المدارسة والمذاكرة فإنَّه بأمر الله عَزَّوَجَلَّ يُظهر العلم. وقبل ذلك **يقول أبو نصر الفريابي**: «أكثر ما يظهر الفِكَر كثرة الكلام». تكلم في المسألة والعلم لكن بشرط أن يكون بزمام، بالعلم، وأن لا تجاوز العلم للجهل والتخرص في دين الله عَزَّوَجَلَّ، فإنَّ من قال في كتاب الله بغير علمٍ فقد أخطأ ولو أصاب.

إِذَنْ: هذا النوع الثاني وهو المدارسة.

۞ **الأمر الثالث: هو المذاكرة.**

المذاكرة لاسترجاع ما مضى؛ فإنَّ الشخص قد تكون عنده مسألة سابقة من محفوظٍ قد حفظه من سنين، فيرجع فيذاكر أخاه فتستذكر المتون الَّتي حفظتها، وتسترجع العلوم الَّتي استحضرتها، ولربما كان من المذاكرة أن تقرأ كتابًا وإن لم تحفظه، فالصحيحان مثلاً على سبيل المثال وكتب السنة قد لا يكون المرء حافظًا لها، ولكن يرجع لها من باب المذاكرة فيقرأ.

وكان أحد المشايخ - عليه رحمة الله، كُنا نقرأ عليه، مات - عليه رحمة الله - من أكثر من خمسة عشر عامًا - **يقول**: هذا الكتاب لكم أدرسكم إياه، من النوع الأول، وهذا

الكتاب لي مذاكرة. فكان الكتاب **يقول**: اقرؤوه لي أنا، أنا الَّذي سأستفيد من قراءتكم، مع أنه رجل فوق السبعين وقتها، يقول: أنا المستفيد، الكتاب الأول أنا أشرحه لكم، هو لكم، والثاني لي أنا.

إِذَنْ: المذاكرة هي استرجاع ما في الذهن، لابُدَّ العلم أن يُسترجَع؛ لأنَّ الإنسان ما سُمِّي إنسانًا إلا لِنَسْيِه، فكثرة نسيان الإنسان لابُدَّ له من المذاكرة.

❁ **الأمر الأخير أو الرابع**: **التَّعليم**. وثِق أنَّ العلم لا يثبت في النَّفس ولا يزيد إلَّا بالتعليم، وقد جاء عن النَّبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ -بمجموع المعاني- أن الزكاة نماءٌ، وزكاة العلم في بذله. **إِذَنْ**: زكاة العلم في بذله، فهو نماؤه وزيادته.

فالمقصود من هذا: أنَّ المرء يحرص دائمًا على أن يُعلِّم، وعندما أقول علِّم العلم فأنا لا أقول لك البس عباءةً واجلس على كرسيٍّ وطاولةً وقدِّم لاقطًا وتكلم عنده، لا، لا أقصد هذا البتة، بل إنَّ أولى وأحرى من تعلمه أهل بيتك، من يريد العلم يذهب لأهل بيته ويبين لهم الصواب في عباداتهم، وفي معاملاتهم، وفي أفعالهم ومعاشهم، أول من تعلِّمه أهل بيتك، طالب العلم إذا رأيت أهل بيته ينتفعون بعلمه فهذا علامةُ بركة علمه.

ولذلك كان أهل العلم قديمًا ما كان النساء يسألن الشيوخ أو الأشياخ - لأنَّ الشيخ تُجمَع على خمسة جموع - وإنَّما يسألون نساءهم، أهل البيت والمرأة هي الَّتي تسأل زوجها.

وقد ذكروا أنَّ رجلاً من فقهاء الشافعية تزوج بنت أبي إسحاق الشيرازي - أو أبي إسحاق الاسفرائيني الَّذي يغلب على ظني أنَّها بنت أبي إسحاق الشيرازي - فكان مرَّةً هذا

زوج البنت وهو من فقهاء الشافعية - نُسِّيت اسمه - كان في مجلس علمٍ فسئل مسألة **فقال**: لا أعلم فيها كلاماً. فبينما هو يقول هذا الكلام إذا بباب البيت يُطرق، المرأة داخل البيت تطرق الباب، فلما ذهب الزوج رجع وهو يضحك، **قال**: هذا بركة الزواج من بنات الأشياخ، **قالت لي زوجتي**: بلى، سمعت من والدي أبي إسحاق - أبيها أبي إسحاق - أنَّه قال في هذه المسألة كذا.

إِذَنْ: يجب على طالب العلم أول من يبدأ بتعليمه: زوجه وبنته وأمك، أمك هذه، بل من البر أن تُعلمها بعضاً من الأحكام، ليس معناه تعلمها الأحكام: ائتوا بمتن نقرأ في الزاد، نقرأ في الدليل، لا لا، التَّعليم هي طريقة في التربية، **تقول لهم**: المسألة هذه، **دعاءٌ** علمهم إياه، سنة، هيئة، وهكذا.

۞ **الأمر الثاني**: احرص على تعليم ضَعَفَة الناس، ابحث عن ضعفة النَّاس الَّذين لا يقبِّلون الرؤوس ولا يعرفون الطرائق المعتادة في الإجلال، وإنَّما هم ضعفة الناس، الَّذين ينظر لهم الناس نظراً دونيًا، اذهب إليهم في بيوتهم وفي مساكنهم وعلِّمهم الحق، علمهم السنة، «**لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِداً**» ما قال زيداً أو عمراً أو.. «**لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمْ**».

إِذَنْ: يجب على الإنسان أن ينتبه لهذه المسألة، وهو قضية التعليم.

إنَّ من الآفات أنَّ بعض النَّاس يقول: إذا تكلمت ولم يحضر لي مائة أو خمسون أو أربعون أو ثلاثون فلن أحضر. هذا جهل، وكان أحد مشايخنا - معروف، واسمه معروف - يلقي الدرس وليس عنده إلَّا واحد، سنين، سنين وليس عنده في أحد دروسه إلَّا شخص

واحد، مؤذن المسجد هو الَّذي يقرأ، سنين، والشيخ معروف باسمه، توفي -عليه رحمة الله- من قريب أقل من عشر سنوات.

فالمقصود: أنَّ قضية العناية بالعلم مُهمَّةٌ جدًّا والتَّعليم فإنها بركة، وثق أن من ترك التعليم واكتفى بتحصيل العلم دون تعليمه لم يُبارَك له فيه من جهة، ولم ينمو علمه ولم يُبارَك فيه ولم يزد بركة وفهمًا.

۞ **من الأمور المهمة في ابتداء طلب العلم:** العناية بالحفظ. يجب ما دمت صغير السن حديثًا في أول أمرك، لم تصل بعد إلى الأربعين، لِنَقُل إن الصغير إلى الأربعين، لم تصل بعد إلى الأربعين فيجب أن تُعنى بالحفظ، الحفظ هذا مُهمٌّ جدًّا، (أناجيلها في صدورها)، القرآن أجلُّ وأولى ما يُحفَظ، وإياك أن تغفل عن هذا القرآن، حتَّى قال أبو الزناد تلميذ أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وجدت أزهد النَّاس في القرآن المتفقهة» يظنون أنَّهم على خير فيشتغلون بالرأي والفقه ويتركون القرآن.

إِذَنْ: أولى ما يُعنى به وأول ما يُبتدأ به هو كلام الله عَزَّوَجَلَّ بالحفظ.

وكل علمٍ لابد من حفظ أشياء فيه، سأذكر بعضها بعد قليل.

يقول صاحب «نظم الوجيز»:

وَبَعْدُ فَالْفِقْهُ عَظِيمُ الْمَنْزِلَةْ ... قَدِ اصْطَفَى اللهُ خِيَارَ الْخَلْقِ لَهْ
لَكِنَّهُ بَلْ كُلُّ عِلْمٍ يُوضَعُ ... بِدُونِ حِفْظِ لَفْظِهِ لَا يَنْفَعُ

لابُدَّ من الحفظ، بعض الناس ييسر الله عَزَّوَجَلَّ عليه حفظ النظم فيكون النظم أسهل عليه من الماء الزُّلال، وبعض النَّاس يستصعب النَّظمَ ويُعنى بالنثر، يوجد، كثير من الناس

ما يحب يحفظ إلَّا النثر، وبعض الناس يستسهل الاستظهار، انتبه! هناك شيءٌ اسمه استظهار.

إِذَنْ: الاستظهار آخَر، بعض النَّاس يستظهر الكلام كأن الشيء مكتوب أمامه على ورق، ولكنه ليس حافظًا له بالتمام، فأنت انظر ما هو حالك وما هي نفسك فافعل ذلك الشيء.

* **ما الَّذي يُحفَظ؟**

۞ **أول ما يُحفَظ**: **الأدلة**، كلام الله وكلام رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، القرآن يجب أن تُعنى بحفظه قدر استطاعتك، إن لم تحفظه كله فاحرص على أن تسعى لحفظه قدر استطاعتك، القرآن هو الأول وهو الأخير، أول ما يُؤمَر به وآخر ما يجب أن يكون على لسان المرء، هو الأصل في كل أمر.

إِذَنْ: اعنَ بالقرآن كلام الله عَزَّوَجَلَّ، ولا مُفاصلة ولا مُحاجة في القرآن، بعض الفقهاء والأصوليين لمَّا ذكروا قضية شروط الاجتهاد **قال بعضهم**: من شرط الاجتهاد: أن يكون حافظًا لآيات الأحكام. ثم اختلفوا كم عدد آيات الأحكام، فقيل: أربعمائة. وقيل: خمسمائة. وقيل: ستمائة. وقيل غير ذلك.

قال بعض أهل العلم - أو أصحاب المسوَّدة هم آل تيمية والظاهر أن الشيخ تقي الدين قال هذه الكلمة - قال: وهذا غير صحيح، بل لا يكون المرء مُجتهدًا في الأحكام إلا أن يكون حافظًا القرآن كله، لابد أن يكون عالمًا بالقرآن كله.

إِذَنْ: لابُدَّ من القرآن. هذا أول شيء.

۞ **الثَّاني**: **الســـنة**، وأهم أمور الســـنة أحاديث الأحكام، هي الَّتي تُحفَظ، أمَّا أحاديث الوعظ وما يتعلق به فإنَّه لو أتيت بها بالمعنى فإنَّه لا ينبني على اختلاف المعنى حكم، بخلاف أحاديث الأحكام؛ فإنَّ اختلاف حركةٍ أو اختلاف حرفٍ فيه يُؤدي إلى اختلاف حُكمه.

أضرب لك مثالاً في اختلاف حرف:

جاء في حديث هشـــام بن عروة عن أبيه عن عائشـــة أنَّ النَّبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال للمرأة المستحاضة لما سألته: «**امْكُثِي قَدْرَ حَيْضَتِكِ**»، ولفظ آخر في الصحيح: «**امْكُثِي حَيْضَتَكِ**»، أغلبنا ســـيقول لا فرق بين الكلمتين، والحقيقة أنَّ الفرق بينهما كالفرق بين ســـقف هذا المسجد وأرضه، لا أقول بين السماء والأرض؛ وإنَّما السقف والأرض، ولذلك الخلاف بين الشـــافعية والحنابلة بناءً على هذا الحديث، وهي: إذا تعارضـــت العادة مع التَّميز عند المرأة إذا المســـتحاضـــة هل تُقدَّم العادة أو التَّمييز؟ فمن قال يُقدَّم التَّمييز قال: نُقدِّم رواية: «**امْكُثِي حَيْضَـــتَكِ**»، ومن قال نقدِّم العادة قال نقدِّم رواية: «**امْكُثِي قَدْرَ حَيْضَـــتِكِ**»، **قال أحمد**: «وهي أصح إسناداً»، الثانية.

إِذَنْ: اختلاف الألفاظ في أحاديث الأحكام ينبني عليه اختلاف الحكم، وهكذا في الحركات، لو تُراجع كتاب الإلماع، فقد أورد القاضـــي عياض نحواً من ســـبعة أحاديث اختلاف حركة فيها اختلف فيها الحكم، مثل: «ذكاةُ الجنين ذكاةَ أمِّه» أو «ذكاةُ أمِّه»، **الجمهور يقولون** - وهو الصواب رواية -: (ذكاةُ الجنين ذكاةُ أمِّه)، فإذا ذُكِّيت الأم - **يعني** ذُبِحت الأم وقُطِع منه المريء والحلقوم ويتبعه الودجان - فإنَّه حينئذٍ الجنين الَّذي في

بطنها يكون حلالاً، ما يحتاج إلى تذكية ولو كان قريب الخروج ما لم يخرج حيـًا، بينما قال الحنفية: (ذكاةُ الجنين ذكاةَ أمِّه) **أي**: صـفته كصـفة ذكاة أمِّه، فلا يحل إلَّا أن يخرج وفيه حياةٌ مُستقرةٌ ثم يُذكَّى بقطع هذين الاثنين من الأربعة.

إِذَنْ: انظر قضية العناية بالحفظ مهم، هذا الأمر الأول.

۞ الأمر الثَّاني مما يُحفظ بعد الأدلة: حفظ المصطلحات.

المصـطلحات هذه لابد من معرفتها، وعندما أقول مصـطلحات **أي**: المصـطلح نفسه هو الذي يُحفَظ، وتفهم معناه، لا يلزم أن تحفظ التعريف؛ لأنَّ المصطلح تعريفه على سبيل الدِّقَّة من المحال وإنَّما هو من باب التصـورات. ذكر ذلك الشـيخ تقي الدين وغيره. بل إن بعض من عُنِي بالتَّعاريف عرَّف تعريفـًا فلما أراد أن يرجع إليه اسـتصـعبه هو، لم يفهم كلامه. قيل ذلك في حق ابن الحاجب كما نقله محمد بن عبد السـلام الأموي في التَّعريف، وقيل ذلك في حق ابن عرفة.

إِذَنْ: بعض التَّعاريف فيها من الدِّقَّة ما يستصـعبها كاتبها ناهيك عن قارئها، ولذلك أنا أريدك أن تفهم المصـطلحات ومعانيها، والأمثلة في المصـطلحات كثيرةٌ جدًّا جدًّا، وهذه رُبَّما في كل فنٍّ مصطلحات: في الفقه، في الأصول، في علم الحديث وغيره، ولذلك لابد من قراءة المصـطلحات ومعرفتها، وداخل المصـطلحات في مصـطلحات في كل مذهبٍ بخصوصه، وهكذا. علم المصطلحات علم كبير جدًّا وفيه مؤلفات مفرَّدة.

إِذَنْ: العناية بالمصطلحات.

۞ الأمر الثَّالث مما يُحفَظ: في كل فنٍّ يُحفظ متنـًا، لأن حفظك هذا المتن يجعل لغة

المتن على لسانك، لكل فنٍّ لغة يتكلم بها أصحابها، فأنت إذا حفظت متناً مُعيَّنًا فإنَّه يُصبح على لســانك لغة هؤلاء القوم، لغة الأصــوليين، لغة الفقهاء، لغة المحدثين، وهكذا، مع معرفة مصــطلحاتهم تعرف لغتهم من حيث التَّراكيب ومن حيث يعني لهم عاداتٌ معيَّنة في صياغتهم الكلام.

إِذَنْ: هذه أهم الأشــياء الَّتي تُحفَظ؛ فإنَّ الحفظ مهم، والحديث أيضــًا فيه يحتاج إلى طول.

الأمر الأخير في التحصيل فيما يتعلق.. - قلنا نحن خمسة أشياء أو أربعة، نسيت كم الرقم، ثم سنرجع لبعض الخطرات.

۞ **من الأمور الَّتي يتحصـل بها العلم كذلك: القراءة**، انظر، لابد من القراءة، ممَّا اتفق عليه علماء الأصــول: أنَّه يجوز الأخذ عن طريق الوجادة، **والوجادة هي**: القراءة، أن تجد كتابًا شُــهِر عند الناس أنه من تأليف فُلان، أو وُجِد عليه خطُّه، أو وُجِد عليه خط أهل العلم كالمخطوطات أنه لفلان، وهكذا.

العناية بالكتب قراءة هي من أعظم الوسائل لتحصيل العلم، **كيف يكون ذلك؟**

- **الأمر الأول**: المشــايخ الآن ليســوا كالمشــايخ الأوائل، لا يمكن أن تجد شــيخًا يجلس في الأسبوع سبعة أيام ويجلس في اليوم خمسة أوقات، لا يمكن أن تجد، إن وجدت شــخصــًا يجلس أربعة أيام في الأســبوع فهذا -جزاه الله خيراً-، لن تجد شخصًا يتفرَّغ كحال الزمان الأول.

إِذَنْ: فجزء كبير من وقتك سيكون في قضية القراءة فاحرص عليها.

- **الأمر الثَّاني**: أنَّ القراءة تُوسِّع المدارك، وإذا كان المرء يقرأ ويحضر عند شيخ، فإذا أشكل عليه أمرٌ أبانه له، وإذا أخطأ في شيءٍ صوَّبه له، وإذا ابتعد عن مسلك أهل العلم ردَّه إليه، فإنَّه حينئذٍ يكون على طريق صحيح.

وقد ذكر بعض المشايخ كلمة جميلة - الحقيقة جميلةٌ جدًّا كلمته - قال: من أعظم ما يعين المرء على الاستمرار في العلم: اقتناء الكتب. انظر طلبة العلم الَّذين جاوزوا سنًا مُعينًا إذا أردت أن تعرف هل هذا الرجل ما زال مُستمراً في العلم أم ليس مُستمراً؛ فانظر هل ما زال يقتني الكتب أم لا، فالَّذي لا يزال يقتني الكتب كُلَّما جدَّ كتابٌ اشتراه إن قَدَر على ذلك ماديًا، أو على الأقل اطلع عليه في مكتبة عامة ونحو ذلك؛ فهذا - بأمر الله عَزَّوَجَلَّ - هو المستمر على العلم، وأمَّا الرجل الَّذي يقف فغالبًا ولا أقول دائمًا في الغالب أنَّه يكون يبتعد عن العلم. ليش قُلت غالبًا؟ لأنَّ بعض أهل العلم ومن مشايخنا كذلك عنده منهج أن لا تقرأ كل الكتب، كان الشيخ عبد الرزاق عفيفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ منهجه أن لا تقرأ إلا كتابًا واحدًا، كان يقول: خِف من صاحب الكتاب. وكانت مكتبة الشيخ دولاب واحد، ولا يقتني غير هذا الدولاب، **يقول**: هذه الكتب أعيد قراءتها. هذا منهج لبعض أهل العلم لكنه قليل، في زماننا الآن قَلَّ، كان في الأوائل أكثر، لكن الآن الغالب على طلبة العلم هو التنوع، ولذلك **أنا أقول**: مدرستان، وأما الإعراض عن المدرستين فهو تضييعٌ للعلم ولا شك. فالذي لا يقرأ لا الكتاب ويعيد هذا الكتاب نفسه ولا يقرأ في الكتب كثيرًا وإن كان لكلٍّ طريقته ولكلٍّ منهجه وكُلٌّ على صواب ولا شك.

يعني أحد المشايخ - عليه رحمة الله - وهو الشيخ عبد الرحمن بن ناصر الهاشمي

وجدت له على المخطوط يقول: قرأت الروض المربع على شيخنا الشيخ عبد الله أبا بطين للمرة السادسة عشر، ستة عشر مرة قرأ كتاباً واحدًا في نسخة واحدة، ستة عشر مرة يقرأها على شيخه، فهذا طريق المسلك الثاني وهو: تكرار الكتاب الواحد. هذه حسنة وهذه حسنة.

۞ **من الأمور الَّتي المهمة الَّتي يحسن بالمرء أن يعتني بها في طلب العلم**: أن يعتني بخلوِّ الخاطر، يحاول أن يتخفف، والتخفف يكون من **أمور**:

۞ يتخفف من الهمِّ، فيبتعد عما يسبِّب له همًّا.

۞ والتَّخفف من الشغل.

التَّخفف من الهم يكون: بأن تبتعد عما يزيل عنك الهم، بعض الأشياء تأتيك بهموم وتأتيك بغموم فابتعد عنها.

ذكر ابن أبي زمنين المالكي - عليه رحمة الله - في كتاب أصول السنة: أنَ شُريحًا - شريح كان مخضرمًا، أدرك النَّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لكنه لم يره، وولاه عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ القضاء، فكان من خير التَّابعين، ليس خير التَّابعين، وإنما خير التابعين أويس القرآني كما في مسلم، وإنَّما هو من خيار التابعين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - **كان يقول**: «إذا جاءت الفتن فلا تستخبر ولا تُخبِر».

يعني لا تسمع أخبار فيأتيك همٌّ ولا تخبر، تسولف في أمور الأخبار هذه فتشغل وقتك وتنشغل فيما يضيع عليك العلم.

فأحيانًا التَّخفف من هذه الأمور يبارك الله عَزَّوَجَلَّ في وقتك، وقتك قصير جداً، فاحرص دائمًا على التخفف من هذه الأمور.

وقد جاء عن بعض السلف أنَّه قال: «لو أمرني أهلي بشراء الباقلاء لما اكتسبت من العلم شيئًا»، ما اكتسبت من العلم شيئًا. فدائمًا حاول أن تتخفف، ليس معناه أنَّك تتخفف أن تعق بوالديك، أو تنقطع عن الواجبات، لا، هذا نقصٌ في العقل ولا شك، ولكن المرء يجمع بين الأمور ولكن يتخفف مما لا فائدة فيه، وكل امرئٍ منا لو نظر في خاصة نفسه سيجد أنَّه ينشغل ببعض لا أقول مباحات بل هو يعني.. خلنا نقول مكروهات على أقل أحوالها، فلو تخفف من هذه الأمور وأبدلها بالانشغال بالطاعة في العلم فإنَّه مُهم.

۞ **ممَّا يتعلق بالابتداء في طلب العلم**: يجب أن تُعنى في طلب العلم بأن تجعل شيئًا خاصًا بك غير مرتبط بالناس، اجعل شيئًا خاصًا بك، بعض الإخوان لا يحفظ إلا مع صاحبه، ولا يحضر الدرس إلَّا مع صديقه، ولا يفعل شيئًا إلَّا مع أصحابه، هذا إذا أحسنوا، وإذا أساؤوا أساء، وإذا ضعفوا ضعف، وإذا قووا وغلبوه تعب، فدائمًا يكون ليس كذلك، احرص على أن يكون لك مسلكٌ وطريقٌ في العلم خاصٌّ بك بعيدٌ عن النَّاس، حفظ، قراءة، بحث، مُدارسة، اجعل لك شيئًا خاصًا بك بحيث أنَّك إذا اعتدت على هذا سنة وسنتين وثلاثًا وأربعًا يُصبح هذا الأمر سجيَّةً لك، يصبح سجيَّة، فلو دخلت إلى بيتك ستجد أنَّك تقرأ الكتاب مُباشرةً، أو تردد محفوظك وحدك، وهكذا.

إِذَنْ: احرص على أن لا ترتبط بغيرك في بعض تحصيل العلم؛ وإنَّما تكون مرتبطًا بنفسك، لكي يكون هذا الأمر سجيَّة لك، ولكي لا تتعلق بغيرك: إن أحسنوا أحسنت، وإن أساؤوا أسأت.

۞ **من الأمور الَّتي هي - حقيقة - من آفات العلم، ويجب على المرء في ابتداء**

تحصيله العلم أن يبتعد عنها: الانشغال بالمراء.

الحقيقة - أيها الإخوة - إنَّ من الآفات العظيمة الَّتي نَجِدها عند طلبة العلم وخصوصاً في السن الأول في مرحلة الجامعة وما بعدها: الانشغال فيما لا نفع فيه، في قيلٍ وقال، والحديث في زيدٍ وعمرو. هذه الأمور أرجئها حتَّى تستمكن نفسك، وحتَّى تتحصل من العلم وتنتفع، احرص على أن تُؤَصِّل نفسك.

وقد جاء أحد الطلبة لأحد المشايخ فقال: ما رأيك في كذا وكذا؟ وكان هذا الطالب نبيهاً والشيخ صادقاً. فقال الشيخ لهذا الطالب: يا ابني، اطلب العلم وانشغل عن هذه الأمور، وسيأتي اليوم الَّذي يأتي النَّاس إليك فيسألونك عنها. يقول هذا الرجل: فانتفعت بوصيته وصدق خَرْصُه.

الانشغال في أُمورٍ تُضيِّع الوقت، يعني أدنى أحوالها أن تكون من المباحات أو المكروهات هذا من أعظم الضرر، طالب العلم - **كما قال ابن مسعودٍ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ -: «يجب أن يُعرف بليله والنَّاس نائمون، وبصمته إذا النَّاس يخوضون». طالب العلم يجب أن يكون له سمتٌ غير سمت النَّاس، ولذلك احفظ عليك هذا اللسان، والنَّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**عَجِبْتُ**» وفي لفظٍ في الصحيح: «**يَعْجَبُ رَبُّنَا مِن شَابٍّ لَيْسَتْ لَهُ صَبْوَةٌ**»، الشاب في حداثة سِنِّه قد يُمسك عليه كلمة وصبوة وفَلتةٌ وشيءٌ قاله، إنَّ حفظ الله عَزَّوَجَلَّ المرء في أول سِنِّه فلم يحفَظ عليه شيءٌ من ذلك، فلم يُشَن به عِرْضُه إذا كَبُر؛ هذه نعمة من الله عَزَّوَجَلَّ، «**يَعْجَبُ رَبُّنَا مِن شَابٍّ لَيْسَتْ لَهُ صَبْوَةٌ**».

إِذَنْ: أنت أيها الأخ الفاضل - وأغلب الحضور من الشباب الموفَّق بإذن الله عَزَّوَجَلَّ-

احفظ عليك لسانك، واحفظ عليك جنانك، فلا تقع في محرم، إياك إياك! فإن ذلك ضرره وجُرْمه وأثره في النفس عظيم.

۞ **من الأمور الَّتي تتعلق بالعلم** - يعني هي خطرات هكذا، قد تكون غير مرتبة، لأنني كنت أظن أن المحاضرة: قواعد فقهية، فتبينت أنَّها قواعد في العلم - **وما يتعلق به**: أن العلم لابد فيه من التَّواضع. ثِق أنَّك إذا لم تتواضع بالعلم في تحصيله وبذله معًا فإنَّه حينئذٍ لا أقول لن تنتفع به، وإنَّما ستكون مدخولاً، دليل ذلك: ما ثبت في الصحيح أنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ تَوَاضَعَ فِي شَيْءٍ - وَأَشَارَ بِيَدِهِ الْكَرِيمَةِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هكذا - رَفَعَهُ اللهُ**»، «**مَنْ تَوَاضَعَ للهِ**» وأشار بيده، أشار بيده مرة أخرى قال: «**رَفَعَهُ اللهُ**»، فمن تواضع لله جَلَّ وَعَلَا في العلم رفعه الله عَزَّ وَجَلَّ به.

كان ابن عباسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يبيت على بيت معاذ، فيخرج معاذ فيجده مُتوسدًا عَتَبة بيته، **فيقول**: «يا ابن عم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لو قلت لي لأتيتك. قال: إنا كذلك نفعل بأهل العلم منَّا، ويمسك بخطام ناقته».

فالإنسان مهما أوتي شرفًا وأوتي فضلاً لابد أن يتواضع في العلم.

❁ **كيف يتواضع في العلم؟**

بعض النَّاس قد يستنكف ويستكبر أن يحضر درسًا، كيف وقد حضر هذا الدرس من يرى هذا الرجل أنه دونه؟ هذا نقص في العلم.

بعض النَّاس يرى أنه من نقص في نفسه أن لا يأخذ من فلان وفلان لأنَّهم دونه وأصغر منه سِنًّا، وهذا نقصٌ في العلم، **ولهذا يقولون**: لن ينال المرء العلم حتى يأخذ العلم ممن هو

مثله ومن هو فوقه ومن هو دونه. فقد يوجد في النهر ما لا يوجد في البحر، وهذه قضيةُ النهر والبحر تُقال في كتابين، **يقولون**: إن الزين بن نُجيم والسراج أخوه ابن نجيم، الزين بن نُجيم وكلاهما شرحوا «الكنز»، فالزين ألَّف «البحر الرَّائق»، وأخوه السراج ألَّف «النَّهر الفائق»، فكان الحنفية **يقولون**: لربما وُجِد في النهر ما لا يوجد في البحر. فيعنون به كتاب السراج مقارنة بكتاب الزين، وهما أخوان، ولكن وُجِد في النهر ما لا يوجد في البحر، وهو أصغر حجمًا.

إِذَنْ: المقصود أن الإنسان يجب أن يتواضع في تحصيله، في الحضور، في الجلوس، في غمط النفس، عدم التكبر، وهكذا.

ولذلك لو قرأت في سِيَر أهل العلم لابد وأن ترى في أول أمرهم قد تواضعوا في العلم، وجلسوا عند عتبات الأبواب، وجلسوا على الحُصُر وجلسوا على الأرض واغبرَّت أقدامهم في سبيل الله جَلَّوَعَلَا، فلابد من التواضع في أخذه، والتواضع في بذله، وهذا التواضع في بذله ذكرتها لكم قبل قليل أن الإنسان لا بد أن يبذل العلم ويعطيه الفقير قبل الغني، وأواسط الناس قبل أشرافهم، وهكذا.

۞ **من الأمور المعينة على طلب العلم أيضًا: وهو مسألة الكتابة.**

الحديث عن الكتابة أمرها مهم، **ولذلك تعرفون البيت المشهور:**

الْعِلْمُ صَيْدٌ وَالْكِتَابَةُ قَيْدُهُ ....

وقد كان أهل العلم يعنون بالكتابة عناية كبيرة، حتَّى إنَّ سفيان الثوري كما نقل عنه الذهبي في كتابٍ له طُبِع في «مناقب سفيان»: أنَّه لمَّا مات حلُّوا نطاقه - يعني الَّذي ربط به

إزاره - فوجدوا فيه رِقعةً كتب فيها أطراف الأحاديث.

إِذَنْ: الإنسان يُعنى دائماً بالكتابة، ولكنك إذا عُنيت بالكتابة المهم هذه الكتابة ما الَّذي تكتبه أولاً، ثُمَّ ثانياً: كيف تنتفع بهذه الكتابة؟. **كل واحدة له طريقة في الكتابة تختلف عن الآخر:**

- **بعض** الناس يجعل هذه الكتب على أغلفة الكتب.
- **وبعضهم** يجعلها في ورقات.
- **وبعضهم** يفهرسها في الجهاز.
- **وبعضهم** يجعلها في هذه الأجهزة الذكية، وهكذا.

فكُلٌّ له طريقته، لكن المهم أن هذا الكتابة التي تكتبها أنت ستستفيد منها **من جهات:**

۞ **الجهة الأولى:** وقت الكتابة، كل شيءٍ تكتبه يثبت في ذهنك أكثر مما تسمع، لأنَّك إن سمعت هذه آلة، إن كتبت اشتركت آلتان: آلة البصر وآلة السمع، والصياغة؛ فإنَّك تكتبه بأسلوبك، فتقوى المعلومة.

۞ **ثُمَّ ما تكتبه هذا** إن استطعت أن تنتفع به بأن ترتِّبه فأنت حينئذٍ استفدت، احرص على هذا الذي تكتبه أن ترتِّبه، ترتبه أن يكون ترتيباً حسناً، فتنقل كل فائدة في مكانها، فتجتمع النَّظائر بعضها إلى بعضٍ حتَّى تكون على هذه الهيئة، لكن طريقة التَّرتيب هنا يأتي التوفيق من الله عَزَّوَجَلَّ، فالنَّاس لهم طرقٌ في الترتيب تختلف، كل واحدة له طريقته في الترتيب يختلف عن الثاني، وأغلب الكتب ابتداء تأليفها عن طريق فِكَرٍ تجمَّعت ثُمَّ أصبحت كتاباً، عند الأوائل والأواخر، وهكذا.

هذا ما يتعلق بعموم العلوم الشرعية.

۞ **عندنا مسائل تتعلق بعلم الفقه وبعض العلوم لابد أن ننتبه لها:**

۞ **منها أولاً**: اعلم أن لكل علمٍ علوماً تحته، كل علم من العلوم الشرعية توجد تحته علوم، فكتاب الله جَلَّوَعَلَا **أُلِّفت كتبٌ تُسمَّى بعلوم القرآن:**

📖 «أفنان الأفنان في علوم القرآن» لابن الجوزي.

📖 «البرهان في علوم القرآن» لابن بهادر الزَّركشي، وهكذا، هناك أشياء تسمى علوم القرآن.

علوم الحديث:

📖 «مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث»، وقبله الحازمي ومن بعده، **أي**: بعد ابن الصلاح ممن اعتمد عليه.

كذلك **الفقه له علومه**، فإن الفقه فيه علوم، **ومن علوم الفقه:**

- أن هناك مؤلَّفات عُنِيت بالأدلة.
- ومؤلفات عُنِيت بمناطات الأحكام التي تسمى بالقواعد.
- وهناك كتبٌ عُنِيت بالتقاسيم.
- وهناك كتبٌ عُنِيَت بالتجريد كما عُنِيَت بالتدليل.
- وهناك كتبٌ عُنِيَت بمعرفة الخلاف سواءً كان الخلاف نازلاً أو عالياً.

معرفتك لأنواع العلوم في داخل العلم تجعلك تعرف هذا الكتاب الَّذي أمامك كيف

هو؟ وبم يتعلق؟ وعما يتحدث؟ وتنزله المنزلة الَّتي تُريدها.

بعض النَّاس يقول: أبحث عن دليلٍ لمسألةٍ فلم أجده في كتب الفقه؛ لأنَّك إنَّما تبحث في المختصرات التي لم تُجْعَل أساساً للتدليل، لكن ابحث في كتب التَّدليل، والفقهاء لهم مسالك في قضية البحث في التدليل ربما أشرت لها في غير هذا المقام.

هذا على سبيل الإجمال والإيجاز بعض المسائل الَّتي تتعلق في طلب العلم وابتدائه، والإعانة والتَّوفيق من الله جَلَّ وَعَلَا، وليعلم طالب العلم أنَّه ما أنعم الله عَزَّوَجَلَّ عليك بنعمةٍ بعد نعمة الإسلام كنعمة طلب العلم، إذا أنعم الله عَزَّوَجَلَّ عليك بعد نعمة الإسلام والسنة طبعاً بنعمةٍ العلم هي أعظم وأجل من نعمة العلم، من رُزِق هذا العلم فقد رُزِق خيرًا كثيرًا، ولكن احرص على تحصيل هذا العلم، واحرص على أنَّك إذا تعلمت أن لا تُريد بهذا العلم علوًا ولا فسادًا في الأرض ولا رفعة، إذا رأيت العالم أو طالب العلم يبتعد عن الظهور ولا يحرص على التَّقدم فهذا - بأمر الله عَزَّوَجَلَّ- هو المستن بهدي النَّبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وأنت دائماً راجع نفسك، واحرص على أن لا تظهر، وانظر لكلام الإمام الشافعي الَّذي جعل الله عَزَّوَجَلَّ كلامه حُجَّةً على النَّاس إلى زماننا، الناس - كما قال أحمد - هذا له مِنَّة في أعناق النَّاس، يقصد الشافعي.

من كلام الشافعي - وكلامه بليغٌ يعني عجيب كثير، لكن من كلامه - **أنه قال**: «لقد وددت أن هذا العلم - يعني الذي أَلَّفه - بُثَّ بين الناس ولم يُنسب لي منه حرف». وبعض النَّاس يغضب إذا نُقِلت منه كلمة ولم تُنْسَب إليه، بل يغضب إذا خُولف رأيه، وقد قال الشافعي كذلك: «قولي صوابٌ يحتمل الخطأ، وقول غيري خطأ يحتمل الصواب».

واعلم دائمـًا أنه مهما تحصـلت عليه من علمٍ فإن علمك لا ينقص من علم الله جَلَّوَعَلَا إلا كما **قال الخضر لموسى**: «كما نقص هذا العصفور من اليمِّ» لما شرب منه.

وقد قال الشـافعي كذلك: «إنَّ العلم أربعة أرباعٌ: ربعٌ من تعلمه ظنَّ أنه أعلم النَّاس». وهذا تجده في المبتدئين في طلب العلم، في أول طلبه للعلم يحفظ بعض المتون ويرى أن بعضـًا ممن يجالسهم بل لربما ممن هم أكبر منه لم يحفظوا هذه المتون فيظن أنه أعلم أهل البلد، ويظن أنه قد فاق أهل الزمان، وأنه قد ا ستوى رأ سه برؤوس الأوائل؛ كشعبة وأحمد ويحيى والشـافعي ومالك وغيرهم من الأئمة. **هذا الربع الأول، قال**: إذا تعلمه ظن أنه أعلم الناس، وكل الناس إذا مرَّ بهذا الربع سيجد هذا الشعور.

ثُمَّ الربع الثاني إذا تعلَّمه علم أنه قد فاته من العلم شـيء، وأنه يحتاج إلى علم، إذ به يعلم أن العلم واسع وليس سهلاً.

قال: **والربع ثالث** إذا تعلمه علم أن ما فاته أكثر بكثيرٍ ممَّا تحصـل، فما تحصـل عليه لا يعادل واحداً من عُشر معشار عُشْر ما هو عند غيره من أهل العلم.

قال: وأمَّا **الربع الرابع** فلا يعلمه أحد إلَّا أن يكون نبيـًا من أنبياء الله.

إِذَنْ: العلم واسعٌ، والعلم كبيرٌ، والشخص إذا استشعر أن العلم كبير حقر نفسه، ويعلم الشـخص أنَّ ما أوتيه إنَّما هو هبةٌ من الله عَزَّوَجَلَّ، فلا يتكبَّر ولا يتجبَّر ولا يطغى، وقد **قال بعض السـلف**: «إنَّ للعلم طغيانـًا. -قال عبد الله بن وهب تلميذ الإمام مالك-: إن للعلم طغيانـًا كطغيان المال».

لماذا أنا أقول هذا الكلام -أيها الإخوة-؟ لأني ألاحظ في طلبة العلم وخاصة في ابتدائه

- **أي**: في ابتداء طلب العلم - يأتيه طغيان العلم، ويرى في نفسه الإعجاب، فلربما كان حاضرًا في الجامعة عند أستاذه ويرى أنه أعلم من أستاذه، وأنَّ هذا لم يأت بجديد، وأن عنده من الأخطاء والتَّقصير، وهكذا. فلربما فوَّت على نفسه من العلم الشيء الكثير بسبب ذلك، ولكن الإنسان كُلَّما استقر في نفسه هذه المعاني فإنَّه حينئذٍ بأمر الله عَزَّوَجَلَّ يكون أقرب للمسلك الصحيح في تحصيله العلم الَّذي ينفع الله عَزَّوَجَلَّ به.

هذا غيضٌ من فيضٍ، وبُلالةٌ من يمٍّ فيما يتعلق بهذا الموضوع، وإلَّا فإن الحديث عن العلم ذو أشجان، ويحتاج إلى أحاديث طوال.

أسأل الله عَزَّوَجَلَّ للجميع التَّوفيق والسَّداد؛

وصلى الله وسلم على نبينا مُحمَّدٍ.

الأسئلة

السؤال: إنَّ مشاغل الحياة ألهتني وأتعبتني وخاصة أنِّي أنفق على أهلي، ومع قلة ذات اليد وقد شُغِلت عن القراءة والتَّحصيل، وكلما رأيت كتبي زادت حسرتي، فهل من توجيهٍ ونصيحة؟

الجواب: أولاً: قضية الانقطاع عن الحياة والانشغال بها هذا لا شكَّ أنَّه منهيٌّ عنه شرعًا، لأن هذا من الواجبات أولاً، لكن أولاً سأنصح غيرك قبل أن أبدأ بنصيحتك.

ثبت عن النَّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ أنَّه قال: «**اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ**» **ومنها**: «**فَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ**»، بعض الإخوان لا يعرف قيمة هذا السؤال لأنَّه لم ينشغل بعد، إذا تزوجت غدًا وأنجبت ولدًا أو أولادًا، أو كان بعض هؤلاء الأولاد ذا حاجة ومرض، أو شُغلت لأجل طلب المعاش؛ فإنَّ هذه الأمور تشغل المرء شغلاً كبيرًا.

فأنت أول شيء أنا أنصح للإخوان الذين لم ينشغلوا بعد يعني انتفع من وقت فراغك الآن، فوالله ما من امرئٍ يَصِل مرحلةً من العمر إلَّا ويتندم على ما مضى. **هذا واحد**.

❁ **الأمر الثَّاني**: بالنسبة لمن جاءه شغله وهكذا يجب أن **تحرص على أمور**:

❁ **الأمر الأول**: أن تجعل لك حزبًا لا تجاوزه أبدًا، يعني لا تتركه أبدًا ولا تنقص عنه أبدًا، لابد من حزب إما من القرآن أو من الحديث أو من القراءة.

نبدأ بالقرآن: ذكر فقهاؤنا وذكر ذلك ابن أبي يعلى في «التمام» ونقله من بعده عنه أنه باتفاق يُكره أن تمر على حافظ القرآن أو من يحسن قراءته نظرًا أن يمر عليه أربعون يومًا لا يختم القرآن. اجعل لك حزبًا لِنَقُل جزءًا من ثلاثين أو أقل من ذلك، بحيث أنك تختم

القرآن أقل شيء كل أربعين يوم مرة. نبدأ بأعظم العلم: القرآن. وقد كانت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تجعل لها حزبـًا من القرآن، فإذا جاء نومها ولم تقرأ ذلك الحزب أَخَّرت نومها لتقرأ حزبها، اجعله لك حدًّا لا تتركه أبدًا، وهذا معنى قول النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ شِـرَّة، وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةٌ، فَمَنْ كَانَتْ فِتْرَتُهُ عَلَى سُنَّتِي فَقَدْ هُدِي**».

دائمـًا حُط لك حد أدنى لا تجاوزه، هذا في القرآن.

في القراءة احرص على أن تجعل لك عددًا من الصفحات لا تتركه أبدًا، أضرب لكم مثالاً من بعض المعاصرين: الشيخ علي الطنطاوي ذكر في مذكّراته قال: أخذت على نفسي عهدًا أو وعدًا - ليس نذرًا يكون واجبـًا - أن لا يمر علي يومٌ إلا وأقرأ فيه مائة صفحة. تعود على نفسك، كل يوم مائة صفحة، أول ما تبدأ ستكون صعبة، ثُمَّ ستصبح عليك أسهل من السهل نفسه.

إِذَنْ: لابد أن تجعل لك قراءة.

۞ **الأمر الثَّالث** - وهذه مهمة، وما زال مشايخنا يوصون بها -: إياني وإياك أن تترك الدرس، إذا كان أحد مشايخك أحياء فلا تترك درسه البتة، احضر عنده وإن كنت - إن شاء الله - أنت رئيس المحاكم وهو ما زال إمام مسجد، لا تترك الدرس، اجعل لك درسـًا في الأسبوع احضره، عدا يختلف الدروس ما هي، تنظر لك يومـًا من الأيام، فجر، في إجازة، لابد يوم في الأسبوع على الأقل يكون لك درس، هذا حبلٌ بينك وبين العلم فلا ينقطع.

السؤال: بم تنصحني أن أبدأ بمختصرات الحنابلة الخمسة، وهي: «الدليل»، و«الزَّاد»، و«عمدة الفقه»، و«عمدة الطالب»، و«أخصر المختصرات»، هل يُبدأ «بمنتهى الإرادات» أو

«المقنع»؟

الجواب: لا، هو يُبدأ بصغار العلم قبل كباره، ويختلف. وقد أوصاني بعض المشايخ يقول: إذا أردت أن تقرأ كتاباً فاذهب للشيخ الَّذي ستقرأ عليه فقل: بم أقرأ؟ فلربما كان بعض المشايخ يقدمون «الأخصر» لأنَّه الأسهل، وبعضهم يرى «الدليل» لأنه هو الذي اعتاده، فأنت اذهب للشيخ الذي ستقرأ عليه وقل: ما الذي أقرأ عليك؟ فاجعله هو الذي يختار.

حدثنا أحد المشايخ - توفي عليه رحمة الله - **يقول:** أعرف الطالب المُجِدَّ من غيره بأمور، ومنها: إذا سألني ما الذي أقرأ عليك يا شيخ؟ عرفت أنه جاد، وإن قال: أريد أن أقرأ الكتاب الفلاني عرفت أنه يريد شيئاً معيناً ولم يتمَّ هذا الكتاب. المهم الاستمرار، لذلك هذا الشيخ يقول لنا - عليه رحمة الله وغفر الله له وأعلى درجته في جنات النعيم -: لا أحصي الَّذين قرؤوا علي في الفقه، يقول: لا أحصيهم، وأمَّا «الروض» يقول: فلا أحصي الذين قرؤوا علي، ولكن أغلبهم يبدأ بالطهارة ولا يجاوز إزالة النجاسة، باب إزالة النجاسة، يبدأ بكتاب الطهارة ولا يتعدى باب إزالة النجاسة، وقد عُمِّر فوق تسعين سنة يقول: لم يختم عليَّ «الروض» إلا ربما عشرة.

الدرس يبغى له جادة طويلة.

السؤال: هل يجوز أن أجمع بين علوم الدين والدنيا، مع العلم أني أجد في نفسي القدرة على ذلك؟

الجواب: أنا أقول دائماً: إن الذي يطلب العلم وهو منشغلٌ في رزقه بأمور الدنيا أو

بتحصيل شهادة أخرى لربما كان العلم أنفع إليه من غيره، لأنَّه يكون أخلص لله جَلَّ وَعَلَا، أنا أقول لربما والعلم عند الله جَلَّ وَعَلَا، لأنَّه يتعلم هذا العلم لا يريد به وظيفةً أو شـــرفًا يتعلق بالعمل، وإنما له وظيفته وعلومه الدنيوية، ولذلك هو من هذا الجانب لربما فيما يتعلق بأفعال القلوب قد يكون أتَم من هذا الجانب، ولكن ربما عدم انشـــغال أو عدم انقطاعه للعلم بكليِّته ربما أشـغله من هذا الجانب الآخر، لكن لا شـك أن هذا ممكن، وما زال أهل العلم منذ الزمن الأول يجمعون بين المعاش ويجمعون معه تحصيل العلم.

والناس يختلفون في القدرات، فربما كان بعض الناس يتحصل على المعلومة في شهر، وبعض الناس لما وفقه الله عَزَّوَجَلَّ من ذكاءٍ وقبل ذلك من بُلْغة من الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وتيســير يتحصل عليها في يوم أو في أقل من ذلك، فالتوفيق من الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ولذلك لا شك أنَّه يمكن الجمع بينهما، بل هو الأفضل والأتم بدلاً من الانشغال بأمور الدنيا وحدها.

السؤال: **هل يتعارض الزَّواج مع طلب العلم؟**

الجواب: أجاب النَّبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ عن ذلك في حديث ابن مسعودٍ أن النَّبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: «**يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ**»، والله جَلَّوَعَلَا يقول في سورة الفرقان في صفة عباد الرحمن: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤]، **فقَرَنَ الله** عَزَّوَجَلَّ **دعاءين**:

- دُعاءً بِقُرَّةِ العين بالزوجة والولد.
- والدعاء الثَّاني بالإمامة في الدين، والإمامة في الدين تكون بالصبر واليقين، بالصبر واليقين تُنال إمامة الدين، ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

فالمقصود أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ جمع بين دعاءين: الدعاء بالإمامة، **ومن الإمامة في الدين**:

- أن يكون المرء ذا علم.
- وأن يكون مُوجِّهاً ومُعلِّماً.
- مع الدعاء بالتَّزويج؛ فدل على أنه لا تعارض ولا تناقض، بل الأصل اجتماعها، وإذا رزق الله عَزَّوَجَلَّ المرء زوجة صالحة معينة له على طاعته وعلى تحصيل العلم، عارفة له ولحاله؛ فإنها ولا شك من أعظم المِنَن ومن أجلِّ النعم.

وقد جاء في قول الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ: ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ﴾ [النساء: ٣٤] **قال سفيان**: ﴿قَٰنِتَٰتٌ﴾ **أي**: مُطيعاتٌ للزَّوج. ﴿حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا

حَفِظَ ٱللَّهُۚ﴾ طبعــًا الحفظ في النفس والمـال والعرض. جـاء في قراءة ابن مســعودٍ: ﴿فَاحْفَظُوهُنَّ﴾، فمن رُزِق مثل هذه المرأة فإنها تُحفَظ؛ لأنها معينة لزوجها وبعلها على طاعة الله جَلَّ وَعَلَا وعلى تحصــيل العلم، فمن يسَّــر الله عَزَّوَجَلَّ له مثل هذه المرأة فإنها نعمة عظيمة، وقد جاء عند أبي نعيم في الحلية أنَّ النَّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أَرْبَعٌ مِنَ السَّـعَادَةِ... وَمِنْهَا: الزَّوْجَةُ الصَّالِحَةُ**» الَّتي تُعينه لا شك على الطاعة، ومن أعظم الطاعة: العلم.

السؤال: أخونا يقول فيما يتعلق بالتدرج في طلب العلم؟

الجواب: أهل العلم يقولون: إن التدرج في العلم في تحصيله يكون **بثلاث مراحل**:

- يكون بالتعليق.
- ثم بالتحقيق.
- ثم بالتدقيق.

❁ **أمّا التَّعليق**: فهو أن المرء يعرف المســألة معلَّقة، **أي**: الفرع الفقهي معلَّقًا عن الأدلة، معلَّق يعني بلا أدلة، فيستحضـر في ذهنه جمعـًا كبيراً من الفروع الفقهية، بدأناها بلا أدلة ليس اســتنقاصــًا للأدلة، وإنما لأن عدداً من الأدلة يكون مبنيًا على معرفة الفروع الفقهية، فإن من أكثر الأدلة تداولاً على ألســنة الفقهاء دليل الاســتقراء، وقد ذكر ابن مفلح أنه حُجَّة في قول جماهير أهل العلم.

الاستقراء هو: أن تنظر إلى الأشباه والنظائر ثم يُنظر لها مناط واحد يكون دليلاً لغيرها مما لم يُذكر الحكم إليها، وقد قال عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لأبي موســى: «واعرف الأشــباه والنظائر ثم قِس الأمور بعد ذلك».



إِذَنْ العلماء يقولون: أول ما تبدأ به التعليق، وهو أن تعرف فروعـًا مجرَّدة، فتحفظ متنًا أو تقرأ متنًا وتستظهره.

۞ **ثم بعد ذلك تنتقل بعد التعليق إلى التَّحقيق**، وهو: أن تعرف حكم كل مسـألة ودليلها أو تعليلها ومناطها، وهذا يسـمى بالتحقيق، ولذا ألَّف أبو الفرج ابن الجوزي كتابه المشهور: «التَّحقيق لأحاديث التَّعليق»، فالتحقيق إنما يكون للأدلة، والأدلة طبعـًا تختلف، فلكل طريقةٍ دليلها، **وقد قال عامة أهل العلم**: إن الأدلة غير محصـورة، بمعنى أنه يمكن لرجلٍ في القرن الخامس عشر الهجري أن يستدل بدليلٍ لمسألة لم يسبقه أحدٌ لدليلها، لكن ليس له أن يأتي بقولٍ جديد لم يُسبَق إليه، فإن هذا المسألة مشهورة في قضية أنهم لو اتفقوا على قضـية لا يجوز إحداث الثالث، إلَّا أن يكون الثالث من باب التلفيق وليس رافعـًا لحكمها؛ لأن المسألة فيها ثلاثة آراء.

۞ **الدرجة الثَّالثة: ما يُسمى بالتَّدقيق.**

التَّدقيق: هو أن تعرف المسـألة مع دليلها مع الخلاف، سـواء كان الخلاف نازلاً في داخل المذهب الَّذي تقرأ فيه الفقه أو عاليًا على مذاهب الأئمة، وإياك أن تبتدئ في التَّدقيق بمعرفة الخلاف العالي قبل الخلاف النازل، لا تبدأ بمعرفة الخلاف العالي قبل النازل؛ لأنَّ الخلاف النازل هو في الغالب في تحقيق المناط لا في تخريجه، القاعدة في الغالب تكون مُتَّفقٌ عليها، وإنما في هل هذه الصـورة داخلةٌ في القاعدة أم هي خارجة عنها؟ هذا هو الخلاف النازل الَّذي يكون في المذهب الواحد.

أمَّا الخلاف العالي فالغالب أنَّ الدليل يكون مختلفًا، فيكون في تخريج المناط

وتنقيحه، فتكون القاعدة لكل مذهبٍ مختلفة عن المذهب الآخر، بل لربما كان المذهبان الفقهيان يريان رأيًا واحداً في مسألة واحدة ولكن لكل واحدٍ منهما مناطٌ يخالف مناط الثاني، بل إن كل واحد منهما يبطل مناط صاحبه لكن النتيجة كانت واحدة.

إِذَنْ: هذه مسألة مهمة في قضية معرفة كيف يُدرس الخلاف. والحديث عن (كيف يدرس الخلاف وكيف يُقرأ) ليس هذا مقامه، لأن الحديث طويل فيها.

إِذَنْ: هذه ثلاث مراحل، **والمشايخ يقولون:** «عليك بالعلم بالتعليق ثم التحقيق ثم التدقيق، وإياك والتَّلفيق»، **والتَّلفيق هو:** أن تأخذ كل قولٍ من مذهب كيفما تحصَّل، فالعلم - أقصد بالعلم ليس الفتوى، لأن الفتوى يجوز فيها التلفيق - وإنما العلم لكي يكون المرء فقيهًا عالمًا مؤسَّسًا مبنيًا كما بُنِي الأئمة من المذاهب الأربعة جميعًا، فلا يمكن أن يتحصل المرء على علمٍ بالتلفيق، العلم لا يؤخذ بالتلفيق مطلقًا، الفتوى يجوز فيها التلفيق، ولكن العلم والتحصيل فيه - يعني ابتداء البناء العلمي - لا يكون بالتلفيق. **هذه مسألة.**

۞ **المسألة الثَّانية:** أخونا يقول بالنسبة للحواشي، **ذكر هنا حاشيتين:**

- «حاشية الخلوتي»، الشيخ محمد الخلوتي تلميذ الشيخ منصور.
- و«حاشية تلميذه عثمان بن قايد».

۞ **يجب أن يُفرَّق بين الشَّرح والحاشية:**

- **فالشرح** يكون على كل الكتاب.
- **بينما الحاشية** تكون على مواضع منه. -هذا الأمر الأول-.

۞ **الأمر الثَّاني**: أن الشـرح يكون لفكِّ مُبْهَم الكتاب. يعني: يفكك المبهَم والمشـكل فيه، وقد يورد فيه الاستدلال، أو يكون الشـرح استدلالاً مثل الممتع، بينما الحواشـي فلم تُجعل لذلك أصلاً، **وإنما جُعِلت الحواشي لإيراد المشكِل**:

- فقد يكون خطأٌ في الكتاب فيُستدرك في الحاشية.
- أو تناقضٌ بين موضعين فيُذكر في الحاشية.
- أو عبارة مبهمة مغلَقة فتُذكر في الحاشية.
- أو تُورد فائدة منفصلة فتُورد في الحاشية.

إِذَنْ: الحواشـي لها شـيء، والشـروح لها شـيء آخر، الحواشـي تختلف عن الشـروح، فهذه لها غرض وهذه لها غرض.

من أراد أن يقرأ حواشـي «المنتهى»، «المنتهى» له حواشـي، طبعـًا في حواشـي مفقودة مثل حاشية حفيد المؤلف الشيخ يوسف الفتوحي المصري وغيرها، هذه فُقِدت، الشيخ عبد الرحمن الخلوتي فُقِدت، لكن نتكلم عن المطبوعات.

إذا أردت أن تقرأ الحواشي فعندك أربعة حواشي بهذا الترتيب، وإن شئت قل الخامسة لأنه متأخر الخامس.

📖 **أول الحواشي**: حواشي الشيخ منصور، الشيخ منصور له شرحٌ على المنتهى وله حاشية عليها، نحن نتكلم على الحواشي الآن، له حاشية تبدأ بها.

📖 **ثم تقرأ بعدها**: حاشـية تلميذه محمد الخلوتي المصـري كذلك، فإن محمد الخلوتي أورد بعض استشكالات شيخه وبيَّنها وزاد استشكالات من عنده، **والخلوتي يتميز**

بأمور:

۞ **منها**: أن الخلوتي يُعنى بالفروق بين المسائل، يُعنى بالفروق وذِكْرها، وإن كان يورد الفرق ولا يذكر حلَّه.

۞ **الأمر الثاني**: أن الخلوتي يورد دقائق في عبارة الفتوحي قد لا توجد عند غيره.

📖 **الحاشية الثالثة**: حاشية عثمان بن قايد، وهو تلميذ الخلوتي، فيورد حلاً لما استشكله شيخه مما لم يجد له حلاً، فيحله عثمان بن قايد.

📖 بعد هذه الحواشي الأربع تأتي حاشية محمد بن حميد المكي، وقد نقل فيها عددًا من حواشي المتأخرين، وهي على شرح المنتهى.

📖 ثم بعد ذلك حاشية الشيخ ابن سعدي، وهي مختصرة حلاً يسيراً جدًّا.

هذه الحواشي الخمس الأساس التي توجد على منتهى الإرادات.

طالب العلم إذا أشكل عليه شيء لا يرجع للحاشية، وإنما يرجع للشرح لحلِّ لفظها، فإذا لم يجد في الشرح حلَّ اللفظ ذهب للحاشية. يرجع للحاشية متى؟ إذا انتهى من قراءة الشرح وأراد أن يتزوَّد فيرجع للحاشية بعدها.

إِذَنْ: الحواشي دائمًا تكون بعد قراءة الشروح.

السؤال: ما تنصح من يدرس في علم من العلوم الدنيوية ويوجد في هذا العلم اختلاطٌ بين الرجال والنساء؟

الجواب: عندنا مسألة مُهِمَّةٌ جدًّا يجب أن نفرِّق بينها في قضية الاختلاط إذا كان فيه ريبة يجب أن تبتعد عن هذه الريبة، يعني تغض بصرك وتبتعد.

الفقهاء تكلموا عن أمرٍ في الاختلاط مُحرَّمٌ وهو الخلوة، وهذا يجب على طالب العلم أن ينتبه له مطلقاً.

إِذَنْ: أول ما تنتبه له **أولاً نبدأ الخلوة**، يجب أن تمتنع تماماً من قضية الخلوة. **وما هو ضابط الخلوة؟ فقهاؤنا يقولون**: إنَّ الخلوة هو أن يكون الرجل مع المرأة ولا ثَمَّ أحدٌ يشاهد أو يحضر. إِذَنْ **أمرين**: إما أن يشاهد أو يحضر.

وبناءً عليه فإنهم يقولون: تنتفي الخلوة **بأحد ثلاثة أمور**:

- تنتفي بمحرمٍ، وهذا بإجماع، فإذا وُجِد مع المرأة محرمٌ فقد انتفت الخلوة.

- وتنتفي كذلك بوجود جمعٍ من النساء، فإذا وُجِد جمعٌ من النساء مع رجلٍ فقد انتفت الخلوة، وهذا هو مشهور المذهب.

- الصورة الثالثة: وجود جمعٍ من الرجال مع امرأة. ذكر بعضهم أنها وجه لكنها ضُعِّفت، أنها تنتهي بها الخلوة لحديث أسماء، والصحيح أنه لا تنتفي به الخلوة، بل لابد أن يكون هناك جمعٌ.

إِذَنْ: هذا الَّذي تنتفي به الخلوة. إِذَنْ: ثلاث حالات، ذكر هذه الحالات الثلاث ابن مفلح في «الفروع».

۞ **إِذَنْ الأمر الأول**: إياك والخلوة المحرمة. هذه ذكرناها، وإن لم يكن فيه ريبة فإن الخلوة لا تجوز مطلقاً، وحُرِّمت تحريم وسائل.

۞ **الأمر الثاني**: احرص حرصاً تاماً على غضِّ البصر، هذا من أهم الأمور، وغض البصر من أعظم العبادات التي توقع في القلب حلاوة الإيمان، وتعرفون حديث ابن مسعودٍ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الحاكم وأحمد بإسناد لا بأس به أنَّ النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ غَضَّ بَصَرَهُ وَهُوَ قَادِرٌ ابْتِغَاءَ مَا عِنْدَ اللهِ أَعْقَبَ اللهُ فِي قَلْبِهِ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ**».

عليك دائماً بغض البصر؛ فإنَّ هذه من أعظم العبادات التي يحبها الله جَلَّ وَعَلَا ويعقب عليها إثابة عاجلة وهو أن يجد في قلبه لذة الإيمان.

الأمر الثَّالث: أنَّك تبذل الأسباب بأن يكون عملك في مكانٍ مناسب بعد ذلك، ولكن هذه أشياء لا يمكن الفكاك عنها، ابتلي بها المرء، فالإنسان يخفف الشر على قدر استطاعته: بغض بصره، بالتزوج إن استطاع الزواج، إن وُجِد استطاع المرء أن يتزوج، لأنَّ النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ؛ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ**»، هذا كلام من لا ينطق عن الهوى. إمَّا بالزَّواج وبغض البصر والحرص على ترك مواطن الريبة ومنها الخلوة، وكل موطنٍ يكون فيه ريبةٍ فيجب على الشخص أن يبتعد عنه.

هذه من أهم الأمور الَّتي يحرص عليها المرء، وهذه أمور لربما ابتلي بها المرء ليمحص الله إيمانه، والله عَزَّ وَجَلَّ يقول: ﴿الٓمٓ ١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ٢﴾ [العنكبوت]، ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [الأنفال: ٣٧].

فالمقصود: أنَّ هذه من الابتلاء الَّذي يبتلي الله عَزَّ وَجَلَّ به بعض النَّاس ليمتحن ما في قلبه، ويمتحن صبره، ويمتحن صدقه مع الله عَزَّ وَجَلَّ، ولربما كان هذا الأمر الَّذي كرهه في ابتداء أمره سبباً في رفعة درجته عند الله عَزَّ وَجَلَّ بما بذله من المجاهدة لنفسه والمغالبة لها وغضِّه بصره واحترامه لأخلاقه؛ فإنَّه حينئذٍ يكون هذا الَّذي ظنَّه شرًّا يكون خيرًا له ورفعةً عند الله عَزَّ وَجَلَّ، والله عَزَّ وَجَلَّ يبتلي عباده ليميز إيمانهم ويرفع درجاتهم عنده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى،

والحمد لله الإعانة وأسبابها متيسرة بحمد الله عَزَّوَجَلَّ.

أسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يرزق الجميع العلم النافع والعمل الصالح؛

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا مُحمَّدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

مُحاضرةٌ أُلقِيَت

بعد المغرب ليلةَ السّبت الفاتح من شهر جمادى الآخرةِ

سَنَةَ سبعٍ وثلاثين بَعْدَ الأَرْبَعِمائَةِ وَالأَلْفِ

بمسجد راشد بن مكتومٍ في الورقاء بدُبَيَ





فوائد